

*الأستاذ المشارك بقسم الفقه وأصوله، تخصص (الأنظمة)

كلية الشريعة وأصول الدين - جامعة الملك خالد

الملخص

- في إطار تعزيز جودة الحياة في المملكة، وضعت رؤية المملكة العربية السعودية (2030)، عدداً من البرامج والمبادرات الهادفة إلى تحسين نمط حياة الفرد والأسرة، وبناء مجتمع ينعم أفرادها بأسلوب حياة متوازن بناء على أن رفاهية النفس لها الأثر في تحقيق النجاحات، وتقديم أقصى ما يمكن أن يقدمه الفرد لنفسه ومجتمعه ووطنه، وتأكيداً لهذا المطلوب كان تركيز الرؤية على جعل حياة المملكة أكثر حيوية وثراءً، وذلك عبر إشراكهم في الأنشطة الثقافية والترفيهية والرياضية التي تسهم في جودة الحياة للجميع.
- وفي الشريعة الإسلامية متسع لهذه الرؤية، فالرفاهية ليست منبوذة بل مندوب إليها، بعد المصالح الضرورية والحاجية، فيشرع كل ما تقوم به الحياة، وتيسر أمور الناس، ويندفع عنهم الحرج، وذلك في إطار سياج أدبي من الأخلاق، ومحاسن العادات التي تساعد المجتمع دائماً على نوع من اليسر والتسامح في التعامل وطرق العيش، وهذه مصالح اعتبرها الشارع، وقام الدليل الشرعي على رعايتها والتعامل بها.
- وقد هدف البحث إلى بيان طبيعة العلاقة بين جودة الحياة وتحسينها، وبين منهج التمتع بالطيبات في إطار فقه المقاصد الشرعية، وقد اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي والاستنباطي والمقارن. وتوصل البحث إلى عدة نتائج أهمها:
- الرفاهية ليست منبوذة بل مندوب إليها، بعد المصالح الضرورية والحاجية، فيشرع كل ما تقوم به الحياة، وتيسر أمور الناس، وذلك في إطار سياج أدبي من الأخلاق، ومحاسن العادات.
 - التمتع بجودة الحياة، والعمل بها يُظهر أثر نعمة الله تعالى على العبد، وما يجب أن يكون عليه من الملبس الحسن والمطعم والشرب الحسن والمسكن الحسن، والتمتع بسائر الطيبات، بعد أداء ما عليه من حقوق وواجبات، وهو التزام على عاتق الدولة بتهيئة أسباب المعاش، كما يظهر جلياً من خلال بنود وثيقة جودة الحياة التي تضمنتها رؤية المملكة (2030).
 - اهتمت الكثير من الدول بتحقيق هذا المبدأ، وعلى رأسها المملكة العربية السعودية، حيث أطلقت برنامجها في 2018، والذي يقوم برفع مقومات جودة الحياة في السعودية للمواطنين والمقيمين والزائرين، ولبرنامج 10 أهداف استراتيجية تخدم القطاعات الترفيهية والثقافية والرياضية والسياحية وغيرها، ومن مستهدفات البرنامج وصول 3 مدن سعودية لقائمة أفضل 100 مدينة ملائمة للعيش.
- الكلمات المفتاحية: جودة الحياة، رؤية المملكة (2030)، نصوص الشريعة، المقاصد العامة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمد الشاكرين، على آلاء المنعم الكريم، ولا نعمة أجل من نعمة الإسلام، ورسول رب العالمين، حمداً خالصاً لوجهه الكريم إلى يوم الدين، وصلاة وسلاماً على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الناظر في منهج الرفاهية وجودة الحياة أو تحسينها يجد أنه قرينة الأمن النفسي الذي تسعى النفوس إلى تحقيقه، وخاصة في ظل ما يعتقد المؤمن بأن التمتع بالطيبات في نطاق منهج الشريعة الإسلامية الغراء اعترافاً بأثر نعمة الله تعالى عليه، وقد أدى ما عليه من حقوق وواجبات في المال المملوك على وجه معروف شرعاً.

وفي علم الدراسات الاجتماعية يعرف هذا المبدأ بـ "الوجود الأفضل" وقد تمت ترجمته إلى الكثير من المصطلحات منها (طيب العيش)، والبعض يراه مرادفاً للرفاهية النفسية، والبعض الآخر اعتبره مرادفاً لجودة الحياة.

لقد كانت المملكة في طليعة الدول التي تبنت برنامج جودة الحياة، كأحد برامج تحقيق رؤية السعودية 2030 وتم الإعلان عنه في 17 شعبان 1439 هـ الموافق 3 مايو 2018. ويُعنى بتحسين جودة حياة الفرد والأسرة من خلال تهيئة البيئة اللازمة لدعم واستحداث خيارات جديدة تُعزز مشاركة المواطن والمقيم والزائر في الأنشطة الثقافية والترفيهية والرياضية والسياحية والأنماط الأخرى الملائمة التي تساهم في تعزيز جودة حياة الفرد والأسرة.

لقد وضعت المملكة وثيقة عرفت بـ(برنامج جودة الحياة 2020)، خرجت من رحم رؤية المملكة (2030)، تهدف إلى أمرين:

الأول: تطوير نمط حياة الفرد: عبر وضع منظومة بيئية تدعم وتساهم في توفير خيارات جديدة تعزز مشاركة المواطنين والمقيمين في الأنشطة الثقافية والترفيهية والرياضية.

الثاني: تحسين جودة الحياة: عن طريق تطوير أنشطة ملائمة تساهم في تعزيز جودة حياة الأفراد والعائلات وخلق فرص العمل وتنويع الاقتصاد، بالإضافة إلى رفع مستوى مدن المملكة لتتواءم مكانة متقدمة بين أفضل المدن في العالم⁽¹⁾.

ولا خلاف في أن منهج الشريعة الإسلامية ظهر لهذا المبدأ ونصيره في إطار منظومة من الضوابط والقيود الشرعية؛ لتستقيم حياة الأفراد والمجتمعات، بعيداً عن دائرة الفقر والعوز وما يتبعها من الحرمان، وعن دائرة الترف وما يتبعها من ظلم وخسران، بل في إطار منهج الوسطية والاعتدال، تصديقاً لقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾⁽²⁾.

(1) برنامج جودة الحياة، 2020، المملكة العربية السعودية، كتيب خطة التنفيذ، (ص7)

(2) سورة الأعراف، الآية رقم: 31

أهمية البحث:

تظهر أهمية هذا البحث في بيان أن نعم الله تعالى على عباده كثيرة، ظاهرة وباطنة، وأن شكرها واجب على المتعم بها للمتع - وهو الله سبحانه وتعالى - وأن طيب العيش ليس منهي عنه شرعاً، بل هو سبيل من سبل السعادة حرضت الشريعة على سلوكه، بموجب ضوابط وقيود منبثقة من دلالة النصوص الشرعية ومقاصد الشرع الكلية، من خلال فقه المصالح، وتقسيماتها إلى مستويات ضرورة وحاجية وتحسينية أو كمالية.

وتزداد أهمية هذا البحث إذا وقفنا على المفهوم الواسع لمبدأ (جودة الحياة) فهو مفهوم يتسع ليشمل الإحساس بالسعادة، والرضا عن الحياة، وإشباع الحاجات، وشعور الفرد بالصحة الجسمية والنفسية، والاستمتاع بالظروف المادية، والعلاقات الاجتماعية الإيجابية، وبالتالي تقييم الفرد لحياته على أنها حياة متوازنة بين الشعور الذاتي للفرد بالرضا والسعادة، ومستوى كفاية ورقي الخدمات المقدمة له، والظروف البيئية الاجتماعية الملائمة المحيطة به.

إشكالية البحث:

الشريعة الإسلامية ليست بمعزل عن تطلعات الأفراد أو المجتمعات للعيش عيشة هنية، في إطار نصوص العامة ومبادئها الكلية، وفي هذا المجال خطت المملكة العربية السعودية من خلال رؤية (2030) خطى واثقة نحو تحسين جودة الحياة بمفهومها العام؛ لإسعاد مواطنيها مع المحافظة على الثوابت الشرعية، ولا غرو في ذلك فنصوص الشريعة العامة ومبادئها الكلية تحض على ذلك، ويتفرع عن هذه المقدمة السؤال الرئيس وهو: هل هناك تعاض بين منهج الرفاهية أو السعادة وتحسين جودة الحياة وبين مقاصد الشرع الكلية؟ هذا ما يحرص البحث على الإجابة عنه، بشقبة الشرعي والعملي، من خلال واقع وتطلعات رؤية المملكة (2030).

منهج البحث:

وفقاً لهدف البحث والذي يهدف إلى بيان طبيعة العلاقة بين جودة الحياة وتحسينها وبين منهج التمتع بالطيبات في إطار فقه المقاصد الشرعية، فإن منهج البحث سيكون استقرائياً في جانب، واستنباطياً في جانب ثان، ومقارناً في جانب ثالث.

الدراسات السابقة:

هناك الكثير من الدراسات المجتمعية التي تقوم بها كليات التربية في إطار علم النفس وما يتفرع عنه من مصطلحات، كالأمن النفسي أو المجتمعي، إلا أن هذه الدراسات تخلو من الجانب الشرعي المقارن؛ لذا حرصت على أن تكون دراستي جامعة لهذه العناصر الثلاثة: الدراسة المجتمعية، الدراسة الشرعية، الدراسة التطبيقية في إطار رؤية المملكة (2030).

خطة البحث

يتكون هذا البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة:

المقدمة في بيان الخلفية النظرية للبحث، وأهميته، وإشكاليته، والدراسات السابقة، ومنهجه وخطته. المبحث الأول: التأصيل المجتمعي والشعري لجودة الحياة في ضوء نصوص الشريعة مقاصدها، وفيه مطالب ثلاثة:

المطلب الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي لجودة الحياة.

المطلب الثاني: تقسيم متطلبات الحياة وفق فقه المصالح بمراتبها الثلاثة.

المطلب الثالث: مفهوم جودة الحياة في الشريعة الإسلامية وفق نصوص الشريعة ومقاصدها.

المبحث الثاني: مبدأ جودة الحياة وعلاقته برؤية المملكة العربية السعودية (2030) وفيه ثلاثة مطالب أربعة:

المطلب الأول: أهم إنجازات الهيئة في مجال المشاريع العملاقة لدعم جودة الحياة.

المطلب الثاني: أهم الانجازات في مجال تنمية وتطوير قطاع السياحة والترفيه.

المطلب الثالث: أهم الانجازات في مجال تأسيس وتشغيل كيانات داعمة لمنظومة الإسكان.

المطلب الرابع: مجال الارتقاء بمستوى المعيشة الصحية بالمملكة.

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

التأصيل المجتمعي والشعري لجودة الحياة في ضوء نصوص الشريعة مقاصدها

تمهيد وتقسيم:

من الثابت أن مفهوم جودة الحياة مفهوم منبثق مما يعرف بعلم النفس الإيجابي، الذي يؤكد على الجوانب الإيجابية للشخصية وتميئتها. وقد اكتسبت دراسة جودة الحياة من المنظور النفسي أهمية كبيرة بسبب إدراك علماء الاقتصاد والاجتماع وصانعي القرار لحقيقة لا تقاس بالأرقام، وإنما هي في حقيقتها استجابات ومشاعر، مفادها أن الزيادة في معدلات النمو الاقتصادي وارتفاع متوسط دخل الفرد وتحسن مستوي ما يقدم له من خدمات ورفاهية، لا يؤدي بالضرورة إلى إشباع حاجاته المتنوعة وطموحاته الشخصية وكذلك تأكيد قيمته الإنسانية⁽³⁾. ومع تعدد التعاريف الواردة لهذا المصطلح، فإن المطلوب الوقوف على التعريف المختار الذي يحقق مقصد البحث، هذا من جانب.

ومن جانب آخر: فإن دلالة المصطلح من المنظور الشعري واضحة المعالم فقد حكم القرآن الكريم والسنة النبوية فيها، في كثير من المواطن، وأصبح الإيمان بها جزءاً من عقيدة المؤمن فحاجيات

(3) د/محمد بن علي معشي، جودة الحياة وعلاقتها بل من السلوك الاجتماعي والأمن النفسي لدى عينة من المراهقين، (ص:238 وما بعدها).

الإنسان لاتقف عند حد معين، وهو يطلب موجبات السعادة ما دام حياً، وأن الشريعة الإسلامية لا تحول دون ذلك، ولكن في إطار مجموعة من الضوابط تحفظ عليه إنسانيته وعقيدته: لأن الترف والإفراط فيه مدعاة للفشل وتشبع بالفتن ومضلاتها كثيرة لا تحصى ولا تعد، وهي طريق إلى الإجرام، والخوض في المحارم، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾⁽⁴⁾ والترف هو: الاشتغال بالمال واللذات، واثار ذلك على الآخرة⁽⁵⁾.؛ لذا سأتناول دراسة الموضوع في مطالب ثلاثة تستوعب ذلك كله: المطلب الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي لجودة الحياة.

المطلب الثاني: تقسيم متطلبات الحياة وفق فقه المصالح بمراتبها الثلاثة.

المطلب الثالث: مفهوم جودة الحياة في الشريعة الإسلامية وفق نصوص الشريعة ومقاصدها.

المطلب الأول

التعريف اللغوي والاصطلاحي لجودة الحياة.

التعريف اللغوي والاصطلاحي لجودة الحياة:

الجودة في اللغة إجادة العمل يقال: " صار جيداً. يقال جاد المتاع وجاد العمل فهو جيد"⁽⁶⁾. ومن اشتقاقاته: الجيد: ضد الرديء. وجاد الشيء، وجود جودة، وجوداً: صار جيداً. وقد جاد جود، وأجاد: أتى بالجيد من القول أو الفعل. ويقال أجاد فلان في عمله وأجود، وجاد عمله وجوداً. ورجل مجيد: أي يجيد كثيراً. وبيّن الجودة: أي رائع⁽⁷⁾. وعليه فإن المعنى اللغوي يتضمن: الأداء الجيد الذي يبلغ حداً فائقاً؛ ولذا جعلوا من مرادفات الجودة الإتقان. والإتقان: الإحكام للأشياء. ورجل تقنٌ وتقنٌ متقنٌ للأشياء: حاذق⁽⁸⁾. والتقن الرجل الحاذق، وأيضاً: رجل من الرماة يضرب بجودة رميه المثل⁽⁹⁾. أما الحياة: فمعروفة، وهي ما يحيها الإنسان طيلة عمره من المهد إلى اللحد، وهي الحياة الدنيا، التي وصفها الله تعالى بأوصافها الحقيقية، قال تعالى: ﴿وَمَا هِيَ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا هُوَ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁰⁾.

(4) سورة هود من الآية رقم: 116.

(5) تفسير القرطبي (9/ 113).

(6) - إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، وآخرون، المعجم الوسيط، (1 / 145)

(7) - الزبيدي تاج العروس من جواهر القاموس، (4/ 403-404).

(8) - ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق (73/13) مادة (تقن).

(9) - الزبيدي، تاج العروس، مرجع سابق، (88/18) مادة (ك ف ا).

(10) - سورة العنكبوت، الآية 64

والذي عليه أهل التأويل أن قوله تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا هُوَ وَلَعِبٌ﴾، أي: شيء يلهي به ويلعب. أي ليس ما أعطاه الله الأغنياء من الدنيا إلا وهو يضمحل ويزول، كاللعب الذي لا حقيقة له ولا ثبات، قال بعضهم: الدنيا إن بقيت لك لم تبق لها. وأنشد بعضهم:

تروح لنا الدنيا بغير الذي غدت... وتحدث من بعد الأمور أمور
وتجري الليالي باجتماع وفرقة... وتطلع فيها أنجم وتغور
فمن ظن أن الدهر باق سروره... فذاك محال لا يدوم سرور⁽¹¹⁾.

قال القرطبي: "وهذا كله في أمور الدنيا من المال والجاه والملبس الزائد على الضروري الذي به قوام العيش، والقوة على الطاعات، وأما ما كان منها لله فهو من الآخرة، وهو الذي يبقى كما قال: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ الرحمن 27، أي ما ابتغي به ثوابه ورضاه. ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ أي: دار الحياة الباقية التي لا تزول ولا موت فيها"⁽¹²⁾.

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿رُزِقَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾⁽¹³⁾.
ومنها قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾⁽¹⁴⁾، ودلالة هذه الآيات واحدة، فهي في مجموعها دالة على الإنسان يطلب من نعيم الدنيا المزيد، ويألف الدنيا أن تكون له على أحسن حال، ولكن قضى الله ولا معقب لحكمه ولا لقضائه على الدنيا زوال نعيمها، فأجالنا محدودة وأيامنا معدودة، والسعيد من رضي الله عنه وسلك سبيل الآخرة بالباقيات الصالحات، فإنها خير وأبقى، قال تعالى: "وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً"⁽¹⁵⁾

وفي (نوادير الأصول) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه- قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: (لَوْ أَنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا بَحْدَافِيرِهَا بِيَدِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي ثُمَّ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ لَكَانَتْ الْحَمْدُ لِلَّهِ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: مَعْنَاهُ عِنْدَنَا أَنَّهُ قَدْ أُعْطِيَ الدُّنْيَا، ثُمَّ أُعْطِيَ عَلَى أَثَرِهَا هَذِهِ الْكَلِمَةَ حَتَّى نَطْقَ بِهَا، فَكَانَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ

(11) - تفسير القرطبي، (362/ 13)، تفسير ابن كثير ت سلامة (6/ 294)، الطبري جامع البيان (ت شاکر)، (20/ 60).

(12) - القرطبي: تفسير القرطبي (362/ 13)

(13) - سورة آل عمران الآية رقم: 14.

(14) -سورة الحديد الآية رقم: 20

(15) -سورة الكهف الآية رقم: 46

أَفْضَلَ مِنَ الدُّنْيَا كُلِّهَا، لِأَنَّ الدُّنْيَا فَانِيَةٌ وَالْكَلِمَةُ بَاقِيَةٌ، هِيَ مِنَ الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ" (16) وغيره كثير مما يدل على حقارة الدنيا وزوالها وانقضائها، وأنها لا دوام لها، وغاية ما فيها لهو ولعب، وأن الآخرة هي الحياة الدائمة الحق الذي لا زوال لها ولا انقضاء، بل هي مستمرة أبد الآباد. وفي كل ما تقدم دليل على أن الإنسان يشعر بجودة الحياة عندما تشبع حاجاته الأساسية، وتكون لديه الفرصة لتحقيق أهدافه في الحياة، مما ينتج عنه الأمن النفسي، والمجمعي، وهذا معتبر من جوانب كثيرة، سيرد ذكرها في موطن آخر من هذا البحث.

تعريف جودة الحياة في الاصطلاح:

يلاحظ أن جودة الحياة مفهوم متعدد الأبعاد يتضمن عدداً من المجالات المستقلة تشمل الصحة الجسمية، والعلاقات الاجتماعية، والأدوار الفعالة وظيفياً للشخص، والشعور الذاتي بالرضا عن الحياة. عرفها بعضهم بأنها: شعور الفرد بالرضا والسعادة والقدرة على إشباع حاجاته من خلال ثراء البيئة، ورفي الخدمات التي تقدم له في المجالات الصحية والاجتماعية والتعليمية والنفسية، مع حسن إدارته للوقت والإفادة منه (17).

وعرفها بعضهم بأنه مفهوم يعكس وعي الفرد بتحقيق التوازن بين الجوانب الجسمية والنفسية والاجتماعية لتحقيق الرضا عن الحياة والاستمتاع بها، والوجود الإيجابي، وترتبط جودة الحياة بالإدراك الذاتي لهذه الحياة؛ لكون هذا الإدراك أيضاً بدوره يؤثر علي تقييم الفرد للجوانب الموضوعية للحياة مثل التعليم والعمل ومستوي المعيشة والعلاقات الاجتماعية من ناحية، وأهمية هذه الموضوعات بالنسبة للفرد من ناحية أخرى (18).

ومع تعدد تعاريف جودة الحياة يظهر لي أنها مفهوم يتضمن الإحساس بالسعادة، والرضا عن الحياة، وإشباع الحاجات، وشعور الفرد بالصحة الجسمية والنفسية، والاستمتاع بالظروف المادية، والعلاقات الاجتماعية الإيجابية، وبالتالي تقييم الفرد لحياته على أنها حياة متوازنة بين الشعور الذاتي للفرد بالرضا والسعادة، ومستوى كفاية ورفي الخدمات. ومفاد ما تقدم أن معنى جودة الحياة ليس قاصراً على جانب معين من حياة الإنسان، بل هو متعدد بتعدد جوانبها من جهة الطب والإسكان والرفاهية وغيره.

(16) - القرطبي: تفسير القرطبي (1/ 131)، الترمذي: نوارد الأصول في أحاديث الرسول (2/ 267)

(17) - وهو تعريف قال به (Quality of life) ينظر: د/إيمان شعبان أحمد أساليب المعاملة الوالدية وأثرها على جودة الحياة للأبناء، (ص:43)؛ د/إلهام مصطفى القصيري جودة الحياة لدى المعاقين بصريا مقارنة بغير المعاقين، (ص: 129)؛ د/محمد بن علي معشي، جودة الحياة وعلاقتها بل من السلوك الاجتماعي والأمن النفسي لدى عينة من المراهقين، (ص: 238) وما بعدها.

(18) - د/محمد بن علي معشي، جودة الحياة وعلاقتها بل من السلوك الاجتماعي والأمن النفسي لدى عينة من المراهقين، (ص: 238) وما بعدها.

فقد ذهب فريق من الباحثين إلى أن جودة الحياة في المجال الطبي: تعني التقدم الحاصل في حياة الأفراد نتيجة الحصول على الرعاية الخاضعة للبرامج الطبية، والعلاجية المختلفة مع مراعاة لجوانب التكلفة الاقتصادية وفقاً لأوضاع الأفراد الاجتماعية، كما أن قياس جودة الحياة يختلف باختلاف نوعية الحالة أو نوعية المعاناة المرضية.

واستناداً إلى تدرج الحاجات الإنسانية من الفسيولوجية إلى النفسية والاجتماعية والمعرفية وغيرها، يمكن القول بأن جودة الحياة الصحية الجيدة لدى الفرد هي القاعدة الأساسية التي إذا ما تحققت لدى الفرد بالمستوى المطلوب بما يضمن له المحافظة على صحته وجودتها فإنه عندها يستطيع أن يصل إلى مقومات لجودة حياته النفسية والاجتماعية بكفاءة (19).

وقد أحسن أحد الباحثين صنفاً حينما أثر اختيار المفهوم الواسع لجودة الحياة، أن مفهوم جودة الحياة مصطلح عملي يعبر عن رقي مستوى الخدمات المادية والاجتماعية التي تقدم لأفراد المجتمع، وأن جودة الحياة تعبر عن نزوع نحو نمط الحياة التي تتميز بالترف هذا النمط من الحياة الذي لا يستطيع تحقيقه سوى مجتمع الوفرة، ذلك المجتمع الذي استطاع أن يحل كافة المشاكل المعيشية لغالبية سكانه، كما تعني جودة الحياة لدى البعض "أن يعيش الفرد في حالة جيدة متمتعاً بصحة بدنية وعقلية وانفعالية على درجة من القبول والرضا، وأن يكون قوي الإرادة صامداً أمام الضغوط التي تواجهه ذو كفاءة ذاتية واجتماعية عالية، راضياً عن حياته الأسرية والمهنية والاجتماعية، محققاً لحاجاته وطموحاته، واثقاً من نفسه غير مغرور ومقدراً لذاته بما يجعله يعيش شعور السعادة (20).

وهذا الاختيار معتبر -أيضاً- عند علماء الاجتماع، فقد اهتموا عند دراستهم لجودة الحياة بالمؤشرات الموضوعية مثل معدلات المواليد، والوفيات، وضحايا الأمراض المختلفة، ونوعية المساكن، والمستويات التعليمية لأفراد المجتمع، ومستوى الدخل ومستوى الاستيعاب والقبول في مراحل التعليم المختلفة، وما يقوم به الفرد من عمل أو وظيفة، وأوضاع العمل نفسه والعائد المادي والمكانة المهنية للفرد.

ويمكن القول أن المعاني المستتبطة من هذه التعريفات معتبرة، شرعاً وعقلاً، بحسب حقيقة كل معنى، مع مراعاة ما تقتضيه الشريعة الإسلامية في ضوء نصوصها ومقاصدها المعنى المستتبطة من كل هذه التعاريف والمظاهر هو طلب الأمن النفسي المترتب على إشباع الحاجات الأساسية والارتقاء بعدها إلى ما هو أبعد من ذلك من وسائل الترفيه بما هو معتبر شرعاً ولا يخالف أصول الشريعة ولا مقاصدها، ولا يخالف تطلعات الشعوب إلى العيش في سعة ورفد، في ظل سياسات عدالة التوزيع وما تستتبعه من حقوق الإنسان يحيا حياة آمنة مطمئنة يرى عليه أثر نعمة الله تعالى، إذ ليس محموداً أن

(19) - ينظر: د/ محمد سعيد أبو حلاوة، جودة الحياة: المفهوم والأبعاد، (ص:8).

(20) - د/محمد بن علي معشي، مصدره السابق.

يكثر الخير ويحيا الناس حياة التقشف بزعم التصوف مثلاً أو الانصراف عن الدنيا، فالإنفاق من المال المملوك ملكية خاصة معتبر شرعاً ولكن جهة الوسط والاعتدال، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾⁽²¹⁾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كُفُورًا﴾⁽²²⁾، وقال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سُمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِّنْ جَحْمُومٍ * لَأَبَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ * إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾⁽²³⁾، وسيأتي بيان ذلك المطلب الثالث من هذا المبحث

المطلب الثاني

تقسيم متطلبات الحياة وفق فقه المصالح بمراتبها الثلاثة.

تحتل المصلحة مكانة مهمة في تصرفات الأفراد أو في التشريع، ولا تتجلى النزعة الفطرية لدى الإنسان في شيء تجليها في نزوعه في جميع تصرفاته وأعماله إلى تحصيل ما يرى فيه منفعة له، بغض النظر عن أن تكون منفعة شخصية خاصة أو عامة؛ ولذا لم يصدر أمر من أمر، ولا حكم من حاكم، ولا إرشاد من مرشد إلا لمصلحة قصد إليها، ورأى أن السبيل إليها هو ما شرعه أو أمر به أو أرشد إليه، تلك هي الفطرة وما يقضي بها العقل، وما يشهد به الواقع.

ويمكن استنباط هذه المعاني من تقسيمات علماء الأصول للمصلحة، والكلام عنها بإيجاز

يتضمن ما يلي:

المصلحة في اللغة: ضد المفسدة، لأنهما ضدان لا يجتمعان، كما جاء في القاموس المحيط "الصالح ضد الفساد، والمصلحة واحدة المصالح، واستصلح نقبض استفسد"⁽²⁴⁾. وفي الاصطلاح: عرفها علماء الأصول بكثير من التعريفات، منها تعريف الإمام الغزالي، يقول الإمام الغزالي في المستصفي: "أما المصلحة فهي في الأصل عبارة عن جلب منفعة أو دفع مضرة - ذكر بعد ذلك - ولسنا نعني بها ذلك، فإن جلب المنفعة ودفع المضرة من مقاصد الخلق وصالح الخلق في تحصيل مقاصدهم، ولكننا نعني بالمصلحة: المحافظة على مقصود الشرع ومقصود الشرع من الخلق خمسة، وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم ونسلهم، ومالهم، فكل ما يضمن حفظ هذه الأصول فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعه مصلحة"⁽²⁵⁾.

(21) سورة الفرقان، الآية: 67.

(22) سورة الإسراء، الآية: 27.

(23) سورة الواقعة، الآيات: 41: 45.

(24) - الطاهر أحمد، ترتيب القاموس المحيط، 839/2-840.

(25) - أبو حامد الغزالي، المستصفي من علم الأصول، 416/1، وما بعدها.

وعرف الشاطبي المصلحة بقوله: "وأعني بالمصالح ما يرجع إلى قيام حياة الإنسان وتمام عيشه ونيله ما تقتضيه أوصافه الشهوانية والعقلية على الإطلاق حتى يكون منعماً على الإطلاق، وهذا في مجرد الاعتياد لا يكون؛ لأن تلك المصالح مشوبة بتكاليف ومشاق، قلت أو كثرت تقترن بها أو تسبقها أو تلحقها، كالأكل والشرب واللبس والسكنى والركوب والنكاح وغير ذلك، فإن هذه الأمور لا تنال إلاً بالكد وتعب، كما أن المفسد الدنيوية ليست بمفاسد محضة من حيث مواقع الوجود، إذ ما من مفسدة تفرض في العادة الجارية إلاً وتقترن بها أو يسبقها أو يتبعها من الرفق واللطف ونيل اللذات كثير"⁽²⁶⁾.

وهناك الكثير من التعريفات، وهي وإن كانت ترد عليها ملاحظات—وهو باب واسع عند دراسي أصول الفقه— إلا أن دلالتها معتبرة فيما نحن بصدد دراسته— ولعل هذا ما قصده العز بن عبد السلام—رحمه الله، حينما عرف المصلحة في كتابه (قواعد الأحكام) حيث قال: "المصالح ضربان أحدهما: حقيقي، وهو الأفراح واللذات، والثاني: مجازي، وهو أسبابها، وربما كانت أسباب المصالح مفسد، فيؤمر بها أو تباح، لا لكونها مفسد بل لكونها مؤدية إلى المصالح، وذلك كقطع الأيدي المتأكلة حفظاً للأرواح....، وتسميتها بالمصالح من مجاز تسمية السبب باسم المسبب"⁽²⁷⁾.

ومن جانب آخر: فإن المصلحة ليست هي الهوى أو الشهوة أو الغرض الشخصي يؤكد ذلك الإمام الغزالي إذ يقرر: أنها هي المحافظة على مقصود الشرع⁽²⁸⁾، فالتعبير عن المصلحة باللذة والمنفعة والمتعة لا يعني أن المصلحة منحصرة في تلبية الشهوات، وإشباع الغرائز الجسمية، وإنما هي لذات ومتع ومنافع متعددة الوجوه والأبعاد من منظور شرعي.

أقسام المصالح من حيث قوتها:

تنقسم المصلحة من حيث قوتها في ذاتها إلى أقسام ثلاثة: مصلحة ضرورية، ومصلحة حاجية، ومصلحة تحسينية وبيان ذلك كما يلي:

1. **المصالح الضرورية:** هي الأعمال والتصرفات التي لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، وصيانة مقاصد الشريعة، بمعنى هي الأعمال التي انتهت الحاجة إليها إلى حد الضرورة بحيث إذا فقدت

(26)- أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، 2/339.

(27)- العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ص17 وما بعدها.

(28)- راجع تعريف الغزالي للمصلحة، المستصفي، 1/416، وما بعدها.

كلاً أو بعضاً، لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الآخرة فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين⁽²⁹⁾.

2. **المصالح الحاجية:** وعرفها الإمام الشاطبي بقوله: "هي ما يفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب، فإذا لم تراع دخل على المكلفين على الجملة الحرج والمشقة، ولكنه لا يبلغ مبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامة، وهي جارية في العبادات والعادات والجنايات، ففي العبادات كالرخص المخففة بالنسبة إلى لحوق المشقة بالمرض والسفر، وفي العادات كإباحة الصيد والتمتع بالطيبات مما هو حلال مأكلاً ومشرباً وملبساً ومسكناً ومركباً، وما أشبه ذلك، وفي المعاملات كالقراض والمساقاة والسلم...."⁽³⁰⁾.

3. **المصالح التحسينية:** وهي التي لم يقصد بها ما قصد في سابقتيها من المحافظة على ما به تقوم الحياة، وما به تتيسر أمور الناس، ويندفع عنهم الحرج، وإنما يقصد بها ما وراء ذلك من الأخذ بسياج أدبي من الأخلاق، ومحاسن العادات التي تساعد المجتمع دائماً على نوع من اليسر والتسامح في التعامل وطرق العيش، وهذه مصالح اعتبرها الشارع، وقام الدليل الشرعي على رعايتها والتعامل بها كالذي نراه من أمر النبي - ﷺ - بالنظافة، وحضه على لبس الجديد أيام الأعياد، والأبيض النظيف أيام الجمع، ومن أجل تحقيق هذه المصالح حرمت الخبائث من المطعومات وكره أكل ما له رائحة كريهة⁽³¹⁾.

وهكذا فما كان ضرورياً فهو من الضروري، والضروريات يلحق بها ما هو متمم ومكملا لها، وكذلك الحاجيات والتحسينات.

- أهمية هذا التقسيم:

تظهر أهمية هذا التقسيم في النواحي الآتية:

1. **نوع المصلحة التي يحتج بها:** لهذا التقسيم أهمية كبيرة في دراسة المصلحة التي يؤخذ بها كدليل شرعي، فبعضهم يشترط فيها أن تكون في رتبة الضروريات، فإن لم تكن كذلك فلا بد من شهادة أصل خاص لها بالاعتبار، أو أن تجري مجرى الضروري.
2. **الترجيح بين المصالح المتعارضة:** لهذا التقسيم أهمية كبيرة عندما تكون الواقعة الواحدة مناهجاً لمصلحتين أو مقصودين، إذ يجب ترجيح إحدى المصلحتين على الأخرى، وقد قرر كُتاب

⁽²⁹⁾ ينظر: د/ محمد أديب صالح مصادر التشريع الإسلامي ومناهج الاستنباط، ص291، وما بعدها، د/ محمد حسن أبو يحيى، أهداف التشريع الإسلامي، ص170 وما بعدها

(30) - الموافقات: الشاطبي، 2/324

(31) - مصادر التشريع الإسلامي ومناهج الاستنباط: د/ محمد أديب صالح، ص294.

الأصول أن المصلحة الضرورية تقدم على المصلحة الحاجية، والحاجية تقدم على المصلحة التحسينية، كم يقدم مكمل الضروري على الحاجي، ومكمل الحاجي على التحسيني⁽³²⁾.
ويلاحظ أن ما كان ضرورياً في زمان قد يكون حاجياً في زمان آخر، والمرجع في ذلك الأعراف والعادات والتقاليد، وهو باب واسع في مجال العمل بالمصالح المرسله⁽³³⁾ وهي كما عرفها ابن الحاجب من الأصوليين - بمعنى الأمر الذي لم يعتبره الشارع سواء علم أنه ألفاه أم لم يعلم الاعتبار ولا الإلغاء⁽³⁴⁾. وأدلة العمل بها كثيرة، وفي مجموعها تدل على أن المصالح المرسله يقصد بها كل مصلحة داخله في مقاصد الشرع دون أن يكون لها شاهد بالاعتبار أو الإلغاء.
ومؤدى هذا التعريف أن الشريعة الإسلامية جاءت لتحقيق مصالح البشر، وهي جلب النفع لهم، ودفع الأذى والضرر عنهم، وقد ثبت ذلك عن طريقين:

أولهما: الاستقرار والتتبع لكل ما جاءت به الشريعة من أحكام في مختلف المسائل التي عالجتها. ثانيهما: النصوص التي دلت صراحة على أن الشريعة غايتها وهدفها ومقصدتها تحقيق مصالح البشر مثل قوله تعالى مخاطباً الرسول - ﷺ -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾⁽³⁵⁾ والدليل في الآية على المقصود أن الله - ﷻ - يخاطب رسوله بأنه بعثه بدين الإسلام رحمة للعالمين ورفقا بهم⁽³⁶⁾.
ومن أمثلة الأخذ بها: ما روي أن عمر بن الخطاب - ﷺ - عندما قدم الشام ووجد معاوية بن أبي سفيان قد اتخذ الحُجَاب وأرعى الحُجَاب واتخذ المراكب النفيسة، والثياب الهائلة العلية، وسلك ما يسلكه الملوك، فسأله عن ذلك فقال: إِنَّا بَارِضٌ نَحْنُ فِيهَا مُحْتَاجُونَ لِهَذَا فَقَالَ لَهُ: "لَا أَمْرُكَ وَلَا أَنْهَاكَ"، قال القرافي: ومعناه أنت أعلم بحالك هل أنت محتاج إلى هذا فيكون حسناً أو غير محتاج فيكون قبيحاً، فدل ذلك من عمر وغيره على أحوال الأئمة، وولاة الأمور تختلف باختلاف الأعصار والأمصار والظروف، والأحوال فلذلك يحتاجون إلى تجديد زخارف وسياسات لم تكن قديماً، وربما وجبت في بعض الأحوال"⁽³⁷⁾.

(32) نظرية المصلحة في الفقه الإسلامي: د/ حسين حامد حسان، ص31-32، مرجع سابق.

(33) المرسله لغة: فأخوذة من رسل، الرأء والسين واللام أصل واحد مطرد، يدل على الانبعاث والامتداد، واسترسل، أي: أرسل الإبل إرسالاً، وإليه: انبسط واستأنس. ينظر: ترتيب القاموس المحيط - 337/2-338، والمصباح المنير، الفيومي، ص86.

(34) - مختصر ابن الحاجب بشرح العضد مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة (1403هـ/1983م)، 2/242.

(35) - سورة الأنبياء، من الآية رقم 107.

(36) - الأدلة المختلف فيها عند الأصوليين، د/ خليفة بابكر الحسن، مكتبة وهبة، ط1 (1407هـ/1987م) دار التوفيق النموذجية، ص29، وما بعدها.

(37) انظر: الفروق للقرافي - 203/4.

مسألة مهمة:

لا يجوز الأخذ بالمصلحة المرسله مطلقا، بل لا بد من وجود أسباب تدعو إلى الأخذ بها، ويمكن ردها إلى ما يلي:

- 1- جلب المنافع، وهي الأمور التي يحتاج إليها أفراد المجتمع لتوفير حياة تقوم على أسس قوية.
- 2- درء المفاسد، وهي الأمور التي تفضي إلى إلحاق الضرر بأفراد المجتمع سواء أكان ضررها ماديا أم معنويا.
- 3- تغير الزمان، أي اختلاف الناس في عاداتهم وأخلاقهم وأوضاع حياتهم المعيشية العامة عما كانت عليه.

فكل واحد من هذه الأسباب السابقة يدعو إلى سلوك طريق الاستصلاح باستحداث الأحكام العامة التي يترتب على تشريعها تحقيق السعادة لأفراد المجتمع، وفق المعيار الشرعي فقط، والجمود على المنقولات ضلال في الدين، وجهل بمقاصد علماء المسلمين والسلف الماضيين⁽³⁸⁾. هذا قليل من كثير تكلم فيه رجال الفقه واصوله، ويستتبط منها حكم المسألة محل البحث (جودة الحياة): فهي مرادة شرعاً، فمتى قام المسلم بإشباع مصالح حياته الضرورية على الوجه المعروف شرعاً، ثم المصالح الحاجية، فلا حرج عليه أن يطرق باب المصالح التحسينية أو الكمالية أو الترفيحية، وهذا محل دراسة المطلب الثالث.

المطلب الثالث

مفهوم جودة الحياة في الشريعة الإسلامية وفق نصوص الشريعة ومقاصدها.

جودة الحياة معتبرة شرعاً متى أخذ المسلم بضوابطها ووقف عند حدودها، وخاصة إذا قلنا أنها وثيقة الصلة بالأمن المادي أو المعاشي والنفسي، ففي السنة النبوية المطهرة جاء المعنى العام للأمن في ضوء هذا المنهج القرآني، حيث وردت أحاديث كثيرة تؤكد على أهمية أمن الإنسان، منها قول -ﷺ-: " مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوْتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حَبِزَتْ لَهُ الدُّنْيَا " (39)، فالأمن على نفس الإنسان، وعلى سلامة بدنه من العلل، والأمن على الرزق، هو الأمن الشامل الذي أوجز الإحاطة به، وعرفه هذا الحديث الشريف، وجعل تحقق هذا الأمن لدى الإنسان بمثابة ملك الدنيا بأسرها، فكل ما يملكه الإنسان في دنياه، لا يستطيع الانتفاع به، إلا إذا كان آمناً على نفسه ورزقه. (40)

(38) د عبد الله محمد صالح، أصول الفقه الإسلامي، (ص214، وما بعدها).

(39)- أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب في القناعة (2/ 1387) رقم (4141) والترمذي في سننه (4/ 574) رقم (2346) وقال: " حديث حسن غريب.."

(40)- انظر: د/محمد عمارة الإسلام والأمن الاجتماعي، (ص: 11)

والمراد بالأمن في السرب الوارد في الحديث: الأمن المكاني أو الأمن من الخوف، يقول صاحب تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي: والسرب المشهور كسر السين أي في نفسه، وقيل: السرب الجماع، فالمعنى في أهله وعياله، وقيل بفتح السين أي في مسلكه وطريقه، وقيل: بفتح السين أي في بيته. (41) وقد عبر الماوردي عن هذه الحقيقة عندما اشترط لصالح الدنيا انتظام أمور جملتها، وانتظام ما يصلح به كل واحد من أهلها، لأنه لا صلاح لأحدهما إلا بصاحبه. يقول الماوردي: اعلم أن ما به تصلح الدنيا حتى تصير أحوالها منتظمة، وأمورها ملتزمة، ستة أشياء هي... أما القاعدة الرابعة: فهي أمن عام تطمئن إليه النفوس وتنتشر فيه الهمم، ويسكن إليه البريء، ويأنس به الضعيف. فليس لخائف راحة، ولا لحاذر طمأنينة. وقد قال بعض الحكماء، الأمن هنا عيش، والعدل أقوى عيش؛ لأن الخوف يقبض الناس عن مصالحهم، ويحجزهم عن تصرفهم، ويكفهم عن أسباب المواد التي بها قوام أودهم وانتظام جملتهم؛ لأن الأمن من نتائج العدل، والجور من نتائج ما ليس بعدل (42).

وكلام الإمام الماوردي يؤكد حقيقة أن الأمن الفردي لا يمكن أن يتحقق بمعزل عن الجماعة، فأى خلل يصيب أحدهما ينعكس بالضرورة على الآخر، ولهذا فالأمن بالمفهوم الإسلامي - يشمل الأفراد والجماعات.

وكما يكون الأمن في توفير الضرورات والحاجات المادية التي لا تستقيم حياة الأفراد والمجتمعات إلا بها، يكون كذلك في الأمور المعنوية والنفسية والروحية، ولهذا فقد جاءت الشريعة الإسلامية لتحفظ للإنسان دينه ونفسه وعقله وعرضه وماله، وشرعت من الوسائل ما يتوصل به إلى حفظ هذه الضرورات وما تحمله من مضامين مادية ومعنوية، ولقد بلغت الفلسفة الاجتماعية الإسلامية مبلغاً عظيماً عندما جعلت الأمن على المعاش المادي هو الشرط الضروري لتحقيق الأمن الديني والروحي للإنسان في هذه الحياة، فصلاح الدين مؤسس على صلاح المعاش، وتوافر الضرورات والحاجات المادية للإنسان، يقول في ذلك حجة الإسلام أبو حامد الغزالي: "فإن نظام الدين لا يحصل إلا بانتظام الدنيا، فنظام الدين بالمعرفة والعبادة لا يتوصل إليهما إلا بصحة البدن وبقاء الحياة وسلامة قدر الحاجات من الكسوة والمسكن والأقوات والأمن" (43).

ثم يقول حجة الإسلام الغزالي: "ولعمري إن من أصبح آمناً في سربه معافى في بدنه، وله قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذاقيها، فلا ينتظم الدين إلا بتحقيق الأمن على هذه المهمات الضرورية، وإلا من كان جميع أوقاته مستغرقاً بحراسة نفسه من سيوف الظلمة، وطلب قوته من وجوه

(41) محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، (7/ 9، 10).

(43) - الماوردي، أدب الدنيا والدين (ص: 133). بتصرف

(44) - أبو حامد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، (ص: 128).

الغبلة، متى يتفرغ للعلم والعمل وهما وسيلته إلى سعادة الآخرة؟ فإذا اتضح أن نظام الدنيا أعني مقادير الحاجة شرط النظام الديني⁽⁴⁴⁾.

بهذا وغيره يظهر لنا جليا أنه - كما يقول الشيخ محمد الغزالي (رحمه الله): "إنه من العسير جداً أن نملاً قلب إنسان بالهدى إذا كانت معدته خالية، أو أن تكسوه بلباس التقوى إذا كان جسده عارياً، إنه يجب أن يؤمن على ضروراته التي تقيم أوده كإنسان ثم ينتظر أن تستمسك في نفسه مبادئ الإيمان، فلا بد من التمهيد الاقتصادي الواسع والإصلاح العمراني الشامل، إذا كنا مخلصين في محاربة الرذائل والمعاصي والجرائم باسم الدين أو راغبين حقاً في هداية الناس لرب العالمين"⁽⁴⁵⁾.

ويعتبر الأمن الاجتماعي الركيزة الأساسية لبناء المجتمعات الحديثة وعاملاً رئيساً في حماية منجزاتها والسبيل إلى رقيها وتقدمها؛ لأنه يوفر البيئة الآمنة للعمل والبناء وبيئتها الطمأنينة في النفوس ويشكل حافزاً للإبداع والانطلاق إلى آفاق المستقبل ويتحقق الأمن بالتوافق والإيمان بالثوابت الوطنية التي توحد النسيج الاجتماعي والثقافي الذي يبرز الهوية الوطنية ويحدد ملامحها، حيث يكون من السهل توجيه الطاقات للوصول إلى الأهداف والغايات التي تندرج في إطار القيم والمثل العليا لتعزيز الروح الوطنية وتحقيق العدل والمساواة وتكافؤ الفرص وتكامل الأدوار⁽⁴⁶⁾.

أهم ضوابط جودة الحياة من منظور شرعي:

تكثر هذه الضوابط، لكن يأتي على رأسها ضابط الوسطية والاعتدال، والهدي النبوي جاء موضعاً كل ما يندرج تحت هذه الأصول من أحكام وتطبيقات مثالية في الأخذ بها صلاح العباد والبلاد، وحفظهما من أسباب الغي والفساد، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ قَالُوا وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَّعَمَدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ سَدَّدُوا وَقَارَبُوا وَأَعْدُوا وَرَوْحُوا وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبَلَّغُوا"⁽⁴⁷⁾ قال الحافظ بن حجر: "والقصد القصد: بالنصب على الإغراء أي ألزموا الطريق الوسط المعتدل"⁽⁴⁸⁾، وفي موضع آخر قال: "والقصد: الأخذ بالأمر الأوسط"⁽⁴⁹⁾.

(45) - المرجع السابق.

(46) - الإسلام وأوضاعنا الاقتصادية: الشيخ محمد الغزالي، (ص: 61، 62).

(47) - مسؤولية الأفراد والأجهزة الحكومية في تحقيق الأمن الاجتماعي: د/ عبد الستار الهيتي، (ص: 54).

(48) أخرجه البخاري في صحيحه من كتاب الرقاق باب القصد والمداومة على العمل (18/6)، ومن كتاب الإيمان باب الدين يسر (16/1)

(48) فتح الباري شرح صحيح البخاري (456/14)

(49) المصدر السابق (196/1). والحكمة من إيراد هذا الحديث في كتاب الإيمان وبعد الأحاديث المرغبة في القيام والصيام والجهاد ليبين أن الأولى للعامل بذلك أن لا يجهد نفسه بحيث يعجز وينقطع، بل يعمل بتلطف وتدرج ليوم عمله ولا ينقطع، كما ذكره ابن حجر في المصدر نفسه.

والتزام الوسط والاعتدال مأمور به شرعاً في كل شيء في الأقوال والأفعال فلا إفراط ولا تفريط، وترشيد الإنفاق لا يخرج عن هذا المعنى، فالإنفاق يجب أن يكون بعيداً عن حالة الإسراف والتقتير اللذين هما طرفان تقيضان لبعضهما وكلاهما حالات مذمومة؛ لأن فيهما الجور والبعد عن الحق.

قال ابن حزم: "إن الإسراف والتبذير وبسط اليد كل البسط هذه الأعمال المحرمة معناها كلها واحد يجمعه أن كل نفقة أباحها الله تعالى وأمر بها كثرت أو قلت فليست إسرافاً ولا تبذيراً ولا بسط اليد كل البسط؛ لأن الله تعالى لا يحل ما حرم معاً، فلا شك أن الذي أباح هو غير الذي نهى عنه، وكل نفقة نهى الله عنها قلت أم كثرت فهي الإسراف والتبذير وبسط اليد كل البسط.. وكل ما لم يبق غني من شراء مأكول أو ملبوس أو عتق أو صدقة مما ليس بالمرء عنه غنى فهو الإسراف والتبذير وبسط اليد كل البسط، فهو كلٌ منهياً عنه شرعاً" (50).

ومن جانب آخر: فإن حياة الرفاهية قد تكون مفسدة في ظل غياب منهج الإيمان، قال تعالى: ﴿ذُرِّمُوا يَأْكُلُوا وَيَمْتَسُّوا وَيُنْهَمُّوا الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (51)، قال الرازي: "دلت الآية على أن إثارة التلذذ والتعمق وما يؤدي إليه طول الأمل ليس من أخلاق المؤمنين، وعن بعضهم التمرغ في الدنيا من أخلاق الهالكين، والأخبار في ذم الأمل كثيرة فمنها ما روي عن النبي -ﷺ- أنه قال: «يهرم ابن آدم ويشب فيه اثنان: الحرص على المال وطول الأمل» (52)... وعن علي -ﷺ- أنه قال: إنما أخشى عليكم اثنين: طول الأمل واتباع الهوى، فإن طول الأمل ينسي الآخرة، واتباع الهوى يصد عن الحق، والله أعلم" (53).

وللمناوي توجيه سديد قال: "وإنما لم تذهب هاتان الخصلتان لأن المرء جبل على حب الشهوات كما قال تعالى: ﴿رَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَالقَنَاطِيرِ الْمُمْقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالحَيْلِ الْمُسَوِّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ (54)، وإنما تنال هي بالمال والعمر والنفس معدن الشهوات وأمانيتها لا تنقطع، فهي أبداً فقيرة لتراكم الشهوات عليها قد برح بها خوف الفوت وضيق عليها فهي مفتونة بذلك وخلصت فتنتها إلى القلب فأصمته عن الله وأعمته؛ لأن الشهوة ظلمات ذات رياح هفافة، والريح إذا وقع في الأذن أصمَّت، والظلمة إذا حلت بالعين أعمت، فلما وصلت

(50) - المحلى، لابن حزم، (8 / 443).

(51) - سورة الحجر، الآية: (3)

(52) - صحيح مسلم كتاب الزكاة باب كراهة الحرص على الدنيا (ج 3 / ص 99) رقم (2459). قال المناوي (يهرم ابن آدم) أي يكبر (ويبقى معه) خصلتان (اثنان) استعارة يعني تستحكم الخصلتان في قلب الشيخ كاستحكام قوة الشاب في شبابه (الحرص) على المال والجاه والعمر (وطول الأمل) فالحرص فقره ولو ملك الدنيا والأمل تبعه".

(53) - تفسير الرازي، (9 / 279).

(54) - آل عمران، آية: 14 .

هذه الشهوة إلى القلب حجبت النور، فإذا أراد الله بعبد خيراً قذف في قلبه النور فتمزق الحجاب فذلك تقواه به يتقى مساخط الله ويحفظ حدوده ويؤدي فرائضه فإذا أشرق الصدر بذلك النور تأدى إلى النفس فأضاء، ووجدت له النفس حلاوة وطلاوة ولذة تلهيه عن شهوات الدنيا وزخرفها، فيحیی قلبه ويصير غنيا بالله الكريم في فعاله الحي في ديموميته القيوم في ملكه، والنفس حينئذ بجواره وفي غناء الجار غناء فصارت تقواه في قلبه، وهو في ذلك النور وغناه في نفسه طمأنينتها ومعرفتها أين معدن الحاجات..⁽⁵⁵⁾.

وضابط آخر لا يجوز إهماله وهو: عدم الانشغال بوجوه جودة الحياة عن القيام بحق الدين ومتطلبات العيش الهني في الآخرة. وفي هذا الشأن اختلف العلماء في حكم ترك الطبييات والإعراض عن اللذات، بدعوى إيثار الدنيا على الآخرة. فقال قوم: ليس ذلك من القربات، والفعل والترك يستوي في المباحات.

وقال آخرون: ليس قرية في ذاته، وإنما هو سبيل إلى الزهد في الدنيا، وقصر الأمل فيها، وترك التكلف لأجلها، وذلك مندوب إليه، والمندوب قرية.

وقال آخرون: ونقل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: لو شئنا لاتخذنا صلاء وصلاتك⁽⁵⁶⁾ وصنابا⁽⁵⁷⁾، ولكني سمعت الله تعالى يذم أقواماً، قال تعالى: ﴿أذهبتم طبياتكم في حياتكم﴾⁽⁵⁸⁾. وقال أبو الحسن علي بن المفضل المقدسي⁽⁵⁹⁾: "وهو الصحيح إن شاء الله -عز وجل- فإنه لم ينقل عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه امتنع من طعام لأجل طيبه قط، بل كان يأكل الحلوى والعسل والبطيخ والرطب، وإنما يكره التكلف لما فيه من التشاغل بشهوات الدنيا عن مهمات الآخرة. والله تعالى أعلم.⁽⁶⁰⁾

قلت: وقد كره بعض الصوفية أكل الطبييات، واحتج بقول عمر -رضي الله عنه-: "إياكم واللحم، فإن له ضراوة كضراوة الخمر". والجواب: "أن هذا من عمر قول خرج على من خشي منه إيثار التمتع في الدنيا، والمداومة على الشهوات، وشفاء النفس من اللذات، ونسيان الآخرة والإقبال على الدنيا، ولذلك

(55) - فيض القدير، للإمام المناوي، (6 / ص 602).

(56) - الصلائق (باللام): ما يلقى من اللحوم والبقول. والصلاء (بكسر الصاد والمد) (الشواء).

(57) - والصناب: الخردل بالزبيب.

(58) - سورة الأحقاف، من الآية: (20).

(59) - أبو الحسن علي بن المفضل المقدسي، من أعلام المحدثين توفي سنة (611) سير أعلام النبلاء، (21 / 408).

(60) - تفسير القرطبي، (7 / 199).

كان يكتب عمر إلى عماله إياكم والتتعيم وزى أهل العجم، واخشوشنوا. ولم يرد - ﷺ - تحريم شيء أحله الله، ولا تحظير ما أباحه الله تبارك اسمه". (61)

ومما يدخل في هذا المعنى ما ورد ذكره في شأن القعود عن نصرته دين الله تعالى رضا بالدنيا، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اتَّقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (62) (63)

قال القرطبي: "وكانت تبوك - ودعا الناس إليها في حرارة القيظ وطيب الثمار وبرد الظلال، فاستولى على الناس الكسل فتقاعدوا وتناقلوا فوبخهم الله بقوله هذا وعاب عليهم الإيثار للدنيا على الآخرة" (64) ومعنى (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) أي بدلاً، التقدير: أرضيتم بنعيم الدنيا بدلاً من نعيم الآخرة. وقال الشاعر: (65)

فليت لنا من ماء زمزم شربة
مبردة باتت على طهيان
ويروى من ماء حمنان. (66)

قال القرطبي: "عاتبهم الله على إيثار الراحة في الدنيا على الراحة في الآخرة، إذ لا تنال راحة الآخرة إلا بنصب الدنيا. وقال - ﷺ - لعائشة وقد طافت راكبة: "أجرك على قدر نصبك" (67).
قيد مهم:

يجب عدم التسرع والإفراط في فتاوى التحريم فيما أحل الله تعالى التمتع به من الطيبات، قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ (68). وفي الآية - كما قال الشيخ ابن

(61) - المرجع السابق.

(62) - سورة التوبة، الآية: الآية [38].

(63) - تفسير القرطبي، (8 / 140).

(64) - تفسير القرطبي، (7 / 199).

(65) - هو يعلى بن مسلم بن قيس الشكري، كما في اللسان. أراد: ليت لنا بدلاً من ماء زمزم شربة مبردة. والطهيان (عود ينصب في ناحية الدار للهواء، يعلق عليه الماء حتى يبرد).

(66) - حمنان: مكة.

(67) - تفسير القرطبي، (7 / 199).

(68) - سورة الأعراف: 32.

عاشور - به لفقهاء الأمة على الاحتراز في القول بتحريم شيء لم يقيم الدليل على تحريمه، أو كان دليhle غير بالغ قوة دليل النهي الوارد في هذه الآية (69).

والمؤمن مسؤول عن كل وجوه التمتع بالطيبات، تصديقا لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لِنُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (70) وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال: حَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: (مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟) قَالَ: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: (وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا فَقَامَا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: (أَيْنَ فُلَانٌ؟) قَالَتْ: يَسْتَعِزُّبُنَا مِنَ الْمَاءِ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَظَنَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- وَصَاحِبِيهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ! مَا أَحَدَ الْيَوْمِ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي. قَالَ: فَأُطْلِقُ، فَجَاءَهُمْ بَعْدُ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطْبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ. وَأَخَذَ الْمُدِيَةَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: (إِيَّاكَ وَالْحُلُوبَ) فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْعِدْقِ، وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لِنُسْأَلُنَّ عَنْ نَعِيمِ هَذَا الْيَوْمِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمُ هَذَا النَّعِيمُ) (71) حَرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ فِيهِ: "هَذَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي تُسْأَلُونَ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ظِلٌّ بَارِدٌ، وَرُطْبٌ طَيِّبٌ، وَمَاءٌ بَارِدٌ" (72)

واختلف أهل التأويل في النعيم المسئول عنه على عشرة أقوال، منها: أحدها: الأمن والصحة، الثاني: الصحة والفراغ، الثالث: الإدراك بحواس السمع والبصر، الرابع: ملاذ المأكول والمشروب، الخامس: أنه الغداء والعشاء، السادس: أنه شبع البطون وبارد الشراب، وظلال المساكن، واعتدال الخلق، ولذة النوم... (73).

وفي كل ما تقدم دليل على تعظيم مسؤولية التمتع بالطيبات، وأنها لاتعد ولا تحصى، وهذه دعوة إلى الوقوف على كل نعمة وأداء شكرها، وصدق رسول الله -ﷺ-: "عَنْ أَبِي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ،

(69) - ابن عاشور، التحرير والتنوير (16 / 7)

(70) - سورة التكاثر الآية رقم: 8

(71) - صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب استحباب الاجتماع على الطعام، (3 / 1609) رقم: 2080.

(72) - سنن الترمذي كتاب الزهد، باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ ت بشار (4 / 162) رقم: 2369.

(73) - تفسير القرطبي (20 / 176-177).

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبَدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ⁽⁷⁴⁾.

وفي ختام هذا المبحث يمكن القول: إن الشريعة الإسلامية تجيز الأخذ بكل أساليب الراحة والرفاهية بغض النظر عن صفة مقدمها متى ظهر مقصد الشريعة الإسلامية الغراء في الاستفادة منها. وفي شأن صناعة منبر لرسول الله - ﷺ - من الخشب بعد أن كان جذع نخل، ما يرشد إلى جواز ذلك بوضوح، جاء في الصحيح أن مسجد النبي - ﷺ - كان مسقوفاً على جذوع من نخل، وكان النبي - ﷺ - إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنُع له المنبر فكان عليه سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار⁽⁷⁵⁾.

قال السمهودي في كتابه " خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ": " وأشهر الأقوال إن الذي صنع المنبر " يا قوم " الذي بنى الكعبة لقريش، وقيل غيره⁽⁷⁶⁾، وذكر بعض أهل السير أنه كان يخطب على منبر من طين، وأن الصحابة صنعوا له مقعداً من طين يجلس عليه ليعرفه الناس الوافدون إليه، وكان يخطب عليه، وكان ذلك في أول الهجرة⁽⁷⁷⁾. وبهذا يكون منبر رسول الله - ﷺ - أول ابتكار خشبي في عالم الإسلام، ودلالته في إراحة النبي - ﷺ - من تعب الاتكاء، قاطعة بأن المبتكرات الخشبية الحديثة أداة من أدوات الراحة الجسدية التي حض الإسلام عليها، وإقرار النبي - ﷺ - لها مسوغ للمبتكرات الخشبية في واقعنا المعاصر، سواء كانت صناعة محلية أو أجنبية.

هذه القيود من الأهمية بمكان في التمتع بجودة الحياة، والعمل بها يُظهر أثر نعمة الله تعالى على عبده، وما يجب أن يكون عليه من الملبس الحسن والمطعم والشرب الحسن والمسكن الحسن، والتمتع بسائر الطيبات، بعد أداء ما عليه من حقوق واجبات، وهو التزام على عاتق الدولة بتهيئة أسباب المعاش، كما يظهر جليا من خلال بنود وثيقة جودة الحياة التي تضمنتها رؤية المملكة (2030)، وهو ما يتم بيانه في المبحث التالي.

(74) - سنن الترمذي، ابواب الزهد، باب في القيامة (4/ 190)، رقم: 2416، وقال حديث حسن صحيح".

(75) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم (3392) والعشاء الناقاة التي انتهت في حملها إلى عشرة أشهر.

(76) ينظر: ابن حجر، فتح الباري، (1/ 258).

(77) السمهودي خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، (2/ 49).

المبحث الثاني

مبدأ جودة الحياة وعلاقته برؤية المملكة العربية السعودية (2030)

سبقت الإشارة إلى جودة الحياة هي مفهوم يعكس وعي الفرد بتحقيق التوازن بين الجوانب الجسمية والنفسية والاجتماعية لتحقيق الرضا عن الحياة والاستمتاع بها، والوجود الإيجابي، وترتبط جودة الحياة بالإدراك الذاتي لهذه الحياة، لكون هذا الإدراك أيضاً بدوره يؤثر على تقييم الفرد للجوانب الموضوعية للحياة مثل التعليم والعمل ومستوى المعيشة والعلاقات الاجتماعية من ناحية، وأهمية هذه الموضوعات بالنسبة للفرد من ناحية أخرى.

ويلاحظ أن هذا المعنى كان محل اهتمام كثير من الدول، على رأسها المملكة العربية السعودية، فقد أطلقت برنامجها في 2018، ويقوم برفع مقومات جودة الحياة في السعودية للمواطنين والمقيمين والزائرين، وللبرنامج 10 أهداف استراتيجية تخدم القطاعات الترفيهية والثقافية والرياضية والسياحية وغيرها، ومن مستهدفات البرنامج وصول 3 مدن سعودية لقائمة أفضل 100 مدينة ملائمة للعيش (78).

ويعد برنامج جودة الحياة أحد برامج تحقيق رؤية السعودية 2030 وتم الإعلان عنه في 17 شعبان 1439 هـ الموافق 3 مايو 2018. ويُعنى بتحسين جودة حياة الفرد والأسرة من خلال تهيئة البيئة اللازمة لدعم واستحداث خيارات جديدة تُعزز مشاركة المواطن والمقيم والزائر في الأنشطة الثقافية والترفيهية والرياضية والسياحية والأنماط الأخرى الملائمة التي تساهم في تعزيز جودة حياة الفرد والأسرة، وتوليد الوظائف، وتنويع النشاط الاقتصادي، وتعزيز مكانة المدن السعودية في ترتيب أفضل المدن العالمية. حيث يعمل برنامج جودة الحياة على تحسين جودة الحياة في السعودية، من خلال محوري تطوير أنماط الحياة، وتحسين البنية التحتية. فيعمل على تطوير أنماط الحياة من خلال تفعيل مشاركة الأفراد في الأنشطة الترفيهية والرياضية والثقافية. كما يعمل على تحسين البنية التحتية من خلال الارتقاء بالخدمات والبنية التحتية والنقل، والإسكان والتصميم الحضري والبيئة، والفرص الاقتصادية والتعليمية، والأمن والبيئة الاجتماعية.

وتعد الهيئة العامة للترفيه إحدى أهم مبادرات رؤية المملكة العربية السعودية 2030، والتي تأسست بأمر ملكي في 7 مايو 2016، وتهدف إلى "تطوير وتنظيم قطاع الترفيه، ودعم بنيته التحتية، من خلال التعاون مع مختلف الجهات الحكومية والقطاع الخاص، وفق الاستراتيجية المعتمدة، الهادفة إلى تحسين جودة الحياة في المملكة العربية السعودية" (79)

(78) اقتصاد مزدهر، الموقع الرسمي لرؤية 2030 للمملكة العربية السعودية، (بدون)، تم الاطلاع بتاريخ: (2023/12/30)، <https://cutt.ly/RTyDwm9>.

(79) في تفصيل هذه المسألة ينظر: أحمد الواصل، مسيرة الغناء السعودي: تجارب ومراحل في استراتيجية الذاكرة المستمرة، مجلة الفيصل، العدد 477-478، 2016.

وقد جاء تأسيس الهيئة العامة للترفيه لتلبية للأهداف الاقتصادية المدرجة في الخطط والاستشارات الخاصة بالمملكة، ومن أجل تنفيذ خطط التنمية الاقتصادية المرغوب إحداثها في السوق السعودي، فضلاً عن دور الهيئة في إجراء تغيير في النمط الاجتماعي للمجتمع السعودي، إذ جاء في قرار الإعلان عن الهيئة أنها تهدف إلى "دعم ورعاية الأنشطة والفعاليات الترفيهية، والاستثمار في قطاع الترفيه لتقديم منتجات ذات محتوى احترافي ترفيهي يتناسب مع الهوية العربية والإسلامية للمملكة" (80).

المطلب الأول

أهم إنجازات الهيئة في مجال المشاريع العملاقة لدعم جودة الحياة

أولاً: تنشيط السياحة الدينية.	تشرفت المملكة العربية السعودية بأن تكون قبلة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ومن خلال رؤيتها (2030) سعت إلى زيادة القدرة على استضافة ضيوف الرحمن، سواء لأداء مناسك الحج والعمرة أو لزيارة المسجد النبوي، عبر التوسع في منظومة الخدمات والمساحات في الحرمين الشريفين، بهدف إحداث نقلة نوعية لقاصدي الحرمين الشريفين، وإثراء رحلتهم الدينية وتجربتهم الثقافية وعكس الصورة الحضارية للمملكة. وتم ذلك عبر أنشطة الحج والعمرة، إضافة إلى ذلك فقد حاولت وزارة السياحة من خلال مشاريع أخرى إلى تأسيس مشروع وطني متكامل كقطاع السياحة البيئية والعلاجية والثقافية وغيره. ومن الخدمات المتميزة في هذا المجال:
- الحصول على تأشيرة إلكترونية للحجاج والمعتمرين وذلك بتطبيق أحدث التقنيات المتطورة، التي تربط ديوان وزارة الخارجية في المملكة بالبعثات الرسمية والمؤقتة، مما أسهم في الإنجاز السريع وبدقة عالية في تقليص مدة الحصول على التأشيرة إلى خمس دقائق من 14 يوماً في السابق.	- مبادرة تمديد فترة موسم العمرة: بعد دراسة الفئات المستهدفة من السماح بتمديد فترة العمرة والتعديلات اللازمة على القرارات لوزارة الحج والعمرة والجهات الرسمية ذات العلاقة، مما زاد عدد المعتمرين من 7.42 مليون معتمر في عام 2018م إلى 8.2 مليون معتمر عام 2019م، حيث كانت فترة موسم العمرة لمعتمري الخارج تبدأ في غرة شهر صفر وتنتهي بنهاية شهر رمضان من كل عام هجري (8 أشهر) ولكثرة الطلبات الواردة من

إيمان القحطاني، اتجاهات أفراد المجتمع السعودي نحو أهمية الترفيه وعلاقته بالتماسك الاجتماعي -دراسة مطبقة على عينة من المواطنين السعوديين في مدينة جدة-، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 5، العدد 7:30 يونيو 2021.
(80)إيمان الكنانة، اتجاهات الشباب والفتيات نحو الترفيه في المجتمع السعودي في ضوء رؤية 2030، مجلة جامعة الفيوم للعلوم التربوية والنفسية، المجلد الرابع عشر، الجزء الثاني، يوليو 2020.

معتمري الخارج، جرت الموافقة على التمديد موسم العمرة خلال شهري شوال ومحرم، في سبيل تجويد الخدمات المقدمة لضيوف الرحمن.

- قطار الحرمين في خدمة ضيوف الرحمن: انطلقت أولى رحلاته في أكتوبر 2018م، ويعد من أحدث وسائل النقل بين مكة المكرمة والمدينة المنورة وأفضلها، متبعا سبل الراحة والأمان والسرعة التي يوفرها السفر بالقطار في الاتجاهين. وقد تنامي عدد الحجاج والمعتمرين من الداخل والخارج الذين استفادوا من خدمات النقل بالقطار في الاتجاهين، ويعمل القطر الذي يعد الأكبر من نوعه على مستوى الشرق الأوسط، وفق أحدث أنظمة ومعايير الأمن والسلامة العالمية ويهدف إلى تخفيف الضغط والزحام على الطريق بين الحرمين الشريفين⁽⁸¹⁾.

- مبادرة حج بلا حقيبة: تهدف إلى تقليل الجهد والوقت ومدة الانتظار في صالات المطار، وتخفيض المدة الزمنية لاستقبال الحجاج من خلال نقل أمتعة الحجاج من المطارات إلى مقرات سكنهم، دون انتظارها في المنفذ، الأمر الذي كان يتطلب جهداً ووقتاً، وهي تأتي ضمن حزمة من المبادرات والخدمات المتطورة الساعية إلى إحداث نقلة نوعية في الخدمات المقدمة للضيوف، ففي موسم حج 1440 تم نقل 600 ألف حقيبة ل 500 ألف حاج، وتقلصت مدة بقاء الحاج في المطار بنسبة (51٪) مما وفر أكثر من 400 ألف ساعة عمل⁽⁸²⁾.

- إطلاق المرحلة الأولى من التحول الرقمي في الحج الذكي: وهي منظومة ذكية تهدف إلى إحداث نقلة نوعية في الخدمات المقدمة للحجاج، وتُمكن من معرفة شخصية الحاج وتفضيلاته، ويشكل ذلك فرصة للاستثمار الأمثل للموارد مستقبلاً، والتغلب على عديد من التحديات، تدار المنظومة عبر غرفة عمليات المتابعة والتحكم التي تصور لحظة بلحظة الرؤى الفورية المستمدة من تدفقات الحشود عبر الأجهزة وأدوات الاستشعار المرتبطة بشبكات إنترنت الأشياء، والتحليلات الجغرافية المكانية، وتأخذ بعين الاعتبار تعدد ثقافات ولغات الحجاج وما يشكله ذلك من تحديات سكنية وطبية، خاصة في الحالات الطارئة التي تطلب سرعة الاستجابة⁽⁸³⁾..

والذي أُطلق في يوليو 2017؛ لخلق وجهة سياسية عالمية بخصائص وطبيعة سعودية، من خلال إنشائه على مساحة تمتد لحوالي 34 ألف كيلو متر مربع، ويتضمن أكثر

ثانياً: مشروع البحر الأحمر.

(81) انجازات رؤية 2030 المملكة، (2016-2020)، (ص:21-22)

(82) انجازات رؤية 2030 المملكة، (2016-2020)، (ص:21-22)

(83) انجازات رؤية 2030 المملكة، (2016-2020)، (ص:24).

<p>من 90 جزيرة طبيعية، ويُراد له أن يساهم في توفير فرص استثمار للداخل والخارج، ووظائف بحوالي 35 ألف فرصة عمل تساعد في زيادة الناتج المحلي بحوالي 15 مليار سنوياً (84)</p>	
<p>ويعد مشروع (نيوم) أكثر هذه المشروعات استشرافاً للمستقبل (85). وفي هذا الشأن قامت المملكة بإنشاء هيئة خاصة للإشراف على مشروع "نيوم" برئاسة ولي العهد الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز، إذ سيتم دعم المشروع باستثمارات تبلغ قيمتها 500 مليار دولار أميركي من قبل السعودية، صندوق الاستثمارات العامة، بالإضافة إلى المستثمرين المحليين والعالميين.</p> <p>مشروع "نيوم" هو منطقة خاصة، عبارة عن وجهة حيوية جديدة تقع شمال غرب المملكة، تسعى لتصبح مكاناً يجمع أفضل العقول والشركات معاً لتخطي حدود الابتكار إلى أعلى المستويات.</p> <p>وقد تم تصميم هذه المنطقة الخاصة لتتفوق على المدن العالمية الكبرى من حيث القدرة التنافسية ونمط المعيشة إلى جانب الفرص الاقتصادية المتميزة، إذ من المتوقع أن تصبح مركزاً رائداً للعالم بأسره.</p> <p>ويقع المشروع شمال غرب المملكة، ويشتمل على أراضٍ داخل الحدود المصرية والأردنية، حيث سيوفر العديد من فرص التطوير بمساحة إجمالية تصل إلى 26,500 كم².</p> <p>ويتمتع هذا المشروع بعدد من المزايا الفريدة، منها القرب من الأسواق ومسارات التجارة العالمية حيث:</p> <ul style="list-style-type: none"> • يمر بالبحر الأحمر حوالي 10٪ من حركة التجارة العالمية. • يمكن لـ 70٪ من سكان العالم الوصول للموقع خلال 8 ساعات كحد أقصى. • تقع في مناطق داخل أراضٍ من مصر والأردن. <p>كما يتمتع هذا المشروع بالتضاريس المذهلة التي تشمل:</p> <ul style="list-style-type: none"> • الشواطئ البكر التي تمتد على مساحة تتجاوز 460 كيلو متر مربع من ساحل البحر الأحمر والعديد من الجزر ذات الطبيعة الأخاذة. 	<p>ثالثاً: مشروع نيوم.</p>

(84) خالد الغنيم، الأبعاد الاقتصادية لسياحة الترفيه في المملكة العربية السعودية، مجلة أسبوت علوم وفنون التربية الرياضية، مجلد 48، عدد 2، 2019، (198-265)، (بتصرف)

(85) المصدر: رؤية المملكة (2030) موسوعة ويكيبيديا، تاريخ الاطلاع عليها (10-10-2023م) مقال (10 حقائق لا تعرفها عن نيوم.. أضخم مشروع بين 3 دول، العربية نت بتاريخ (24 أكتوبر 2023م).

ويهدف المشروع إلى تحويل جدة إلى منطقة حيوية ومدينة سياحية وتجارية، تقع ضمن أفضل 100 مدينة على مستوى العالم، وأشارت توقعات المشروع أن إجمالي استثماراته تبلغ 18 مليار ريال على مدى 10 سنوات، وحسب المعلن أن يسهم في إيجاد أكثر من 36 ألف فرصة عمل (86)	رابعاً: مشروع تطوير الواجهة البحرية لمدينة جدة "جدة تاون الجديدة"
أقر هذا المشروع بالتنسيق بين شركة الاستثمار السعودية "أقديّة" وشركة "بيارك إنجلز" الدنماركية، ويهدف المشروع إلى إنشاء أكثر من 300 مرفق ترفيهي وتعليمي، متوزعة في خمس مناطق رئيسية هي: منطقة منتجع الترفيه ومنطقة مركز المدينة ومنطقة الطبيعة ومنطقة الحركة والتشويق والغولف والمنطقة السكنية. (87).	خامساً: مشروع القديّة

المطلب الثاني

أهم الانجازات في مجال تنمية وتطوير قطاع السياحة والترفيه:

من المعلوم أن السياحة تعد المصدر القومي الأول وأحياناً الوحيد للدخل في بعض الدول، مما يعزز أهميته وقيمه في تنوع مصادر الدخل. ولعل السياحة في المملكة العربية السعودية إلى جوار أنها من أهم مصادر الدخل للدولة وإثراء المال العام؛ فإنها أيضاً تخلق فرص عمل عديدة للمواطنين يستفيد منها جمع كبير من الناس لاسيما العاطلين، وبشكل غير مباشر لها دور في تقليص مساحات الفساد المالي. وبناءً على رؤية المملكة العربية السعودية (2030) في تشجيع قطاع السياحة وتفعيلها، فقد سمحت للقادم من الزوار والمعتمدين بزيارة الأماكن التاريخية، مثل مدائن صالح وغيرها، والمعالم الأثرية وفي ربوع المملكة العربية السعودية، والتي تجعلها مقصداً للكثير من السياح والزائرين من شتى بقاع العالم. وفي هذا الشأن: تعمل رؤية السعودية على تعزيز تطوير المواقع السياحية وفق أعلى المعايير العالمية، وتيسير إجراءات إصدار التأشيرات للزوار وتهيئة المواقع التاريخية والتراثية وتطويرها. ولدعم القطاع، أطلق صندوق التنمية السياحي لتمويله وتعزيز نموه وهو ما سيعزز من وتيرة نمو نشاط السياحة التي شهدتها المملكة قبل أزمة الجائحة وزيادة مساهمتها في النمو الاقتصادي والتشغيل، حيث تحول ميزان السفر إلى فائض للمرة الأولى في عام 2019، وتقلص فارق الإنفاق بين السفر الخارجي والداخلي من 54 مليارات ريال تدفق للخارج في عام 2010 إلى فائض 4.8 مليارات ريال تدفق للداخل في 2019م (88).

(86) مسح: الصندوق السيادي السعودي بـ 2017 استثمارات بالمليارات أبرزها "نيوم"، شركة مباشر العالمية، (2017/12/28)، تم

الاطلاع بتاريخ 2023/12/30 <https://cutt.ly/ATshQWP>

(87) ما هي القديّة، الموقع الرسمي لمشروع القديّة، (بدون)، تم الاطلاع بتاريخ (2024/1/5) <https://cutt.us/GEEQe>

(88) البوابة الوطنية للمملكة العربية السعودية للخدمات والمعلومات الحكومية GOV.SA،

<https://www.my.gov.sa/wps/portal/snp/aboutksa/investinginksa>

المطلب الثالث

أهم الانجازات في مجال تأسيس وتشغيل كيانات داعمة لمنظومة الإسكان

باستعراض ما تم انجازه من الرؤية خلال الفترة من 2016م إلى 2020م نقف على كثير من هذه الإنجازات، منها على سبيل المثال: تأسيس وتشغيل كيانات داعمة لمنظومة الإسكان: وقد تمثلت هذه الانجازات فيما يلي⁽⁸⁹⁾:

1. تأسيس الشركة الوطنية للإسكان.	- وهي بمثابة الذراع الاستثمارية لمنظومة الإسكان، حيث تستثمر في قطاع التطوير العقاري وتعد الشركات بين القطاعين العام والخاص، بما يسهم في ضخ مزيد من المشروعات السكنية المتكاملة في المملكة كافة.
2. إنشاء الشركة السعودية لإعادة التعمير العقاري:	- وهي شركة تساهم في توفير السيولة والتوسع في الحلول التمويلية، حيث تجاوزت قيمة إعادة شراء قروض التمويل العقاري أكثر من (6.7 مليار ريال)
3. إنشاء الهيئة العامة للاستثمار:	- وهي شركة تهدف إلى تنظيم النشاط العقاري غير الحكومي وتطويره لرفع كفاءته واستدامة موارده، وتعزيز الشفافية وتشجيع الاستثمار والإشراف على البرامج التنظيمية مثل إيجار ولاك، ونظام التسجيل العيني للعقار.
4. تأسيس المعهد العقاري السعودي:	- ويمثل الذراع الأكاديمي في منظومة الإسكان لتدريب وتأهيل الكفاءات الوطنية، ورفع مستوى الاحترافية في تقديم الخدمات العقارية، حيث بلغ عدد المتدربين أكثر من 43 ألف متدرب.
5. تحويل صندوق التنمية العقارية إلى مؤسسة تمويلية.	- والهدف منه أن يكون أحد أكبر الصناديق التمويلية في المملكة، حيث ربط تنظيمياً بصندوق التنمية الوطني للعمل على توفير وابتكار برامج تمويل متنوعة تناسب جميع شرائح المجتمع بالتعاون مع الجهات التمويلية.
6. تأسيس مركز "إتمام" لخدمة المطورين العقاريين وتسهيل إجراءاتهم.	- وذلك بهدف العمل على توحيد الجهود بين الجهات الحكومية ذات العلاقة وتسريع الإجراءات، مما ساهم في تقليص فترة استخراج تصاريح اعتماد المخططات إلى شهرين فقط، مقارنة بفترة كانت تصل إلى 18 شهراً سابقاً، وقد اعتمد (329) مخططاً سكنياً.

وينظر: رؤية السعودية (2030م) موسوعة ويكيديا، تاريخ الاطلاع (2023/10/10م)

⁽⁸⁹⁾ينظر: كتاب إنجازات رؤية المملكة 2030 (2016-2020)، ص40.

<p>7. تشغيل المركز السعودي للتحكيم العقاري.</p> <p>- والحكمة منه أن يكون مرجعاً وبيت خبرة في حل الخلافات العقارية. ويهدف إلى تسوية النزاعات ذات العلاقة في القطاع الخاص، وتقليص عدد النزاعات العقارية والمهلة الزمنية لإنهائها، حفظاً لحقوق المتعاملين والمستثمرين، وتعزيز الثقة في القطاع العقاري.</p>	
<p>8. تأسيس مركز البيانات والرصد السكاني.</p> <p>- وهو مركز يعمل على مراقبة قطاع الإسكان في المملكة وتحليله ودراسته، ونشر قائمة بالمؤشرات الرئيسية ومساعدة الجهات التشريعية والتنظيمية في اتخاذ القرارات اللازمة للموازنة بين العرض والطلب وتطوير القطاع، حيث طور المركز (97) مؤشراً عقارياً وأصدر (27) نشرة دورية.</p>	
<p>9. ارتفاع نسب تملك الأسر السعودية للمساكن</p> <p>- نتيجة لنجاح الحلول التمويلية والسكنية في تلبية متطلبات الأسر السعودية ارتفعت نسب التملك للأسر السعودية، إذ لم تكن تتجاوز نسبة تملكها للمساكن (47% في عام 2016م، وارتفعت إلى 60% بنهاية المرحلة الأولى لبرنامج الإسكان عام 2020م.</p>	
<p>10. ارتفاع مساهمة برنامج الإسكان في الناتج المحلي.</p> <p>- حيث بلغت مساهمة قطاعي الأنشطة العقارية والبناء والتشييد بما يعادل 115 مليار ريال خلال فترة البرنامج الأولى 2018-2020م.</p> <p>- كما تم استحداث أكثر من 39 ألف فرصة عمل مباشرة خلال الأولى 2018-2020م.</p> <p>- بلغ الاستثمار غير الحكومي (القطاع الخاص) في اقطاع العقاري أكثر من 254 مليار ريال في عام 2020.</p> <p>- يعد القطاع العقاري ثاني أكبر قطاع محفز لنمو أكثر من 120 نشاطاً اقتصادياً كما يوفر الأساسيات اللازمة لبناء مجتمع حيوي.</p>	
<p>11. إلغاء مفهوم الانتظار للدعم السكني.</p> <p>- كانت فترة الانتظار للحصول على التمويل تصل إلى 15 عاماً من وقت تقديم الطلب، وأصبح الحصول على التمويل العقاري فوراً، وذلك إثر إطلاق برنامج الإسكان وتطوير حلول تمويلية وتحسين الإجراءات حيث يستطيع المواطن اليوم الاستفادة من المنتجات السكنية والحصول على قرض عقاري يصل إلى (500 ألف ريال) وبنسبة دعم تصل إلى 100%. وقد بلغ عدد القروض العقارية المدعومة ضمن برنامج "سكني" (424 ألف قرض مدعوم منذ تأسيس البرنامج من عام 2017م حتى 2020م.</p>	

<p>- وهو أحد المشروعات الكبرى التي أعلنها صندوق الاستثمارات العامة، حيث يهدف إلى تطوير أحياء سكنية بمعايير عالية الجودة تتناسب مع تطلعات المجتمع السعودي، ويعمل المشروع على الاستفادة من الفرص المتاحة في السوق العقاري نتيجة الطلب المتزايد على قطاع الإسكان في المملكة، إلى جانب المساهمة في زيادة نسبة تملك الوحدات السكنية إلى 70٪ بحلول عام 2030م.</p>	<p>12. إطلاق مشروع "روشن" العقاري⁽⁹⁰⁾.</p>
---	---

المطلب الرابع

مجال الارتقاء بمستوى المعيشة الصحية بالمملكة⁽⁹¹⁾:

- نجحت المملكة في تحقيق مزيد من الإنجازات في المجال الصحي، خلال الفترة من 2016م إلى 2020م كان على رأسها:
- 1- رفع مستوى جودة الخدمات الصحية وتسهيل الحصول على الخدمات والوقاية ضد المخاطر الصحية بإطلاق (10) تجمعات صحية تغطي 12.95 مليون نسمة) حتى نهاية عام (2020) وذلك في مختلف مناطق المملكة.
 - 2- خفض الإحالة خارج مناطق إقامة المريض داخل المملكة بنسبة (50٪).
 - 3- ارتفاع نسبة توفير الاستشارات الصحية التخصصية خلال أربع أسابيع من (50٪) عام 2017 إلى 84٪ عام 2020م.
 - 4- ارتفاع عدد المعالجين داخل المملكة بنسبة تجاوزت (64٪).
 - 5- زيادة الوعي بأهمية التبرع التطوعي بالدم، عبر إطلاق تطبيق "وتين"⁽⁹²⁾ الإلكتروني، الذي سهل إمكانية طلب التبرع بالدم، وقد تجاوز عدد المتبرعين (800 ألف) متبرع.
 - 6- تفعيل نظام التتبع الدوائي الإلكتروني "رصد" لحماية المجتمع، وقد أسس هذا النظام لتعزيز الرقابة والتأكد من سلامة الأدوية، عبر تبني أحدث الوسائل التقنية واستخدامها في تتبع وتعب جميع الأدوية البشرية المسجلة والمصنعة داخل المملكة أو المستوردة من خارجها، حيث خضعت كافة الأدوية في نقاط البيع بنسبة (100٪) من خلال تسجيل (4800) منشأة، وتنفيذ (1.2 مليار عملية)

⁽⁹⁰⁾ ينظر: كتاب إنجازات رؤية المملكة 2030 (2016-2020)، ص43

⁽⁹¹⁾ ينظر: كتاب إنجازات رؤية المملكة 2030 (2016-2020)، ص31-32

⁽⁹²⁾ الوتين: عرق يسقي الكبد، وإذا انقطع مات صاحبه. قال تعالى: ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ [الحاقة/ 46] وَالْمَوْئُونَ: المقطوع الوتين. ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص: 852)

- وقد بدأ العمل بالنظام في نوفمبر 2018م، وتشمل أبرز أهدافه مكافحة الغش الدوائي، وتمكين المستهلك من معرفة بيانات الدواء⁽⁹³⁾.
- 7- تأسيس المركز السعودي لسلامة المرضى: وقد أطلق عام 2017م بهدف تعزيز ثقافة وطنية عن سلامة المرضى لتوفير خدمات بلا أضرار، حيث يعمل المركز كخبير رئيس في استراتيجية سلامة المرضى الوطنية، وقد ساهم في زيادة المستشفيات التي تفي بمعايير الجودة التي تقيس ثقافة سلامة المرضى من 30% في عام 2018م إلى 60% في عام 2020م.
- 8- تيسير الإجراءات الصحية لسكان المملكة عبر تطبيقات ومنصات رقمية مبتكرة: ومن أبرزها: تطبيق "صحة" يعنى بتعزيز الصحة العامة لأفراد المجتمع كافة في المملكة، عبر توفير الرعاية الطبية والوقائية عن بُعد للمستخدمين، أطلق في مارس 2017م، وقدم نحو (2.1 مليون) استشارة لنحو (1.6) مليون مستخدم حتى عام 2020م، مسهلاً الوصول إلى الاستشارات الطبية الموثوقة.
- تطبيق "موعد": بدأ تقديم خدماته في أبريل 2018م، ليساعد مستخدميه على حجز المواعيد في مراكز الرعاية الصحية الأولية وإعادة جدولتها أو تعديلها أو إلغائها، حيث حجز نحو 14.5 مليون مستفيد من خلاله أكثر من 67 مليون موعد في نهاية عام 2020م، مما وفر الوقت والجهد على المستفيدين، ونظم بشكل مبتكر الوصول إلى الخدمات الصحية.
- تطبيق خدمة "وصفتي": أطلقت لربط المستشفيات ومراكز الرعاية الصحية الأولية بالصيدليات المجتمعية، ليكون الدواء متوفراً في كل مكان وبأي وقت، وتلافي الأخطاء الطبية الناتجة عن الكتابة الخطية، إضافة إلى التحقق التلقائي من تعارض الأدوية والأدوية الحساسة للمستفيد، والحد من تكرار صرف الأدوية للمريض، وقد قدم عبر الخدمة نحو (8.4) ملايين وصفة إلكترونية حتى أغسطس 2020م.
- تطبيق "صحتي": دشّن في 10 أغسطس 2019م، لكنه برز خلال التصدي لجائحة فيروس كورونا المستجد (كوفيد 19) عبر إتاحة حجز مواعيد إجراء فحوصات التحقق من الإصابة بالفيروس وتلقي اللقاحات، وتوفير معلومات المستفيد الصحية، ليصل عدد مستخدميه حتى عام 2020، إلى أكثر من (1.2) مليون مستفيد.
- 9- العمل على تطوير منظومة قوية للسلامة المرورية: هذه المنظومة بنيت وفُعلت باتباع أحدث تقنيات وأساليب الضبط والهندسة المرورية بهدف استكمال جهود السلامة الشاملة لسكان المملكة للحد من المخالفات المؤثرة على السلامة المرورية، حيث أسهمت في خفض معدل الوفيات من (28.8) لكل (100 ألف نسمة) في عام 2016م، إلى (13.5) لكل مائة ألف نسمة في عام 2020م، وتقليل

⁽⁹³⁾ ينظر: كتاب إنجازات رؤية المملكة 2030 (2016-2020)، ص 31-32

الحوادث المرورية الجسيمة من (29.4) ألفاً في عام 2016م إلى (18.89) ألفاً في عام 2020م. إذ جرى التوسع في الرصد الآلي في كافة المناطق، وتعديل نظام المرور وتغليظ العقوبات على المخالفات التي تؤثر على الصحة العامة⁽⁹⁴⁾.

وختاماً لهذا المبحث يمكن القول بأن المملكة العربية السعودية في إطار رؤية (2030) حققت الكثير من الإنجازات، الشاهدة على أن الوطن يتقدم إلى الأمام في كثير من الاتجاهات، وأنه يبني ويُعلي البناء ليكون شامخاً شموخاً الأجداد.

وتتفق هذه الإنجازات مع رؤية وطموح صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبد العزيز آل سعود -ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس مجلس الشؤون الاقتصادية والتنمية، فهو يطمح إلى أن يبني وطناً أكثر ازدهاراً يجد فيه كل مواطن ما يتمناه؛ ليكون الوطن في مقدمة دول العالم، بالتعليم وبالتأهيل، وبالفرص التي تتاح للجميع، والخدمات المتطورة، في التوظيف والرعاية الصحية والسكن والترفيه وغيره.

ويصل إجمالي الإنفاق في القطاعات ذات الصلة بالبرنامج حتى العام 2020 إلى 130 مليار ريال، منها مبلغ 74.5 مليار ريال إجمالي الاستثمارات المباشرة في البرنامج، وتشكل النفقات الحكومية الرأسمالية منها مبلغ يزيد عن 50.9 مليار ريال، واستثمارات متاحة للقطاع الخاص بمبلغ يصل إلى 7، 23 مليار ريال. ولا يشمل ذلك كافة أشكال الإنفاق الرأسمالي في المشروعات الكبرى ذات الصلة، مثل مشروع القدية، ومشروع البحر الأحمر، ومشروع بوابة الدرعية، ومشروع جدة التاريخية، ومشروعات الهيئة الملكية لمحافظة العلا وغيرها، إضافة إلى جميع المشروعات ذات الصلة التابعة للقطاع الخاص، والتي يصل إجمالي الاستثمارات فيها إلى أكثر من 86 مليار ريال.

⁽⁹⁴⁾ ينظر: كتاب إنجازات رؤية المملكة 2030 (2016-2020)، ص: 35.

الخاتمة

بعد هذا العرض الموجز للمسألة محل البحث، وما ظهر فيه من نتائج، أجد من الأهمية بمكان الوقوف على أهم هذه النتائج:

- تعرف جودة الحياة في الدراسات الاجتماعية بـ "الوجود الأفضل" وقد تمت ترجمته إلى الكثير من المصطلحات منها (طيب العيش)، والبعض يراه مرادفاً للرفاهية النفسية، والبعض الآخر اعتبره مرادفاً لجودة الحياة.
- دلالة المصطلح من المنظور الشرعي واضحة المعالم فقد حكم القرآن الكريم والسنة النبوية فيها، في كثير من المواطن، وأصبح الإيمان بها جزءاً من عقيدة المؤمن فحاجيات الإنسان لا تقف عند حد معين، وهو يطلب موجبات السعادة ما دام حياً، وأن الشريعة الإسلامية لا تحول دون ذلك، ولكن في إطار مجموعة من الضوابط تحفظ عليها إنسانيته وعقيدته
- الرفاهية ليست منبوذة بل مندوب إليها، بعد المصالح الضرورية والحاجيه، فيشرع كل ما تقوم به الحياة، وتنتيسر أمور الناس، ويندفع عنهم الحرج، وذلك في إطار سياج أدبي من الأخلاق، ومحاسن العادات.
- نعم الله تعالى على عباده كثيرة، ظاهرة وباطنة، وأن شكرها واجب على المتنعم بها للمنعـم -وهو الله سبحانه وتعالى - وأن طيب العيش ليس منهي عنه شرعاً، بل هو سبيل من سبل السعادة حرضت الشريعة على سلوكه، بموجب ضوابط وقيود منبثقة من دلالة النصوص الشرعية ومقاصد الشرع الكلية، من خلال فقه المصالح، وتقسيماتها إلى مستويات ضرورة وحاجيه وتحسينية أو كمالية.
- التمتع بجودة الحياة، والعمل بها يُظهر أثر نعمة الله تعالى على عبده، وما يجب أن يكون عليه من الملبس الحسن والمطعم والشرب الحسن والمسكن الحسن، والتمتع بسائر الطيبات، بعد أداء ما عليه من حقوق وواجبات، وهو التزام على عاتق الدولة بتهيئة أسباب المعاش، كما يظهر جلياً من خلال بنود وثيقة جودة الحياة التي تضمنتها رؤية المملكة (2030).
- اهتمت الكثير من الدول بتحقيق هذا المبدأ، وكان على رأسها المملكة العربية السعودية، فقد أطلقت برنامجها في 2018، ويقوم برفع مقومات جودة الحياة في السعودية للمواطنين والمقيمين والزائرين، وللبرنامج 10 أهداف استراتيجية تخدم القطاعات الترفيهية والثقافية والرياضية والسياحية وغيرها، ومن مستهدفات البرنامج وصول 3 مدن سعودية لقائمة أفضل 100 مدينة ملائمة للعيش.
- وضعت المملكة العربية السعودية في إطار رؤية (2030)، عدداً من البرامج والمبادرات الهادفة إلى تحسين نمط حياة الفرد والأسرة، وبناء مجتمع ينعم أفرادها بأسلوب حياة متوازن.

- تحفظ المملكة ثوابتها الشرعية وقيمها المجتمعية وتجعلها ركيزة أساسية في تنفيذ برنامج تحسين جودة الحياة.

المصادر والمراجع الشرعية واللغوية

1. إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، (مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة).
2. ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني سنن ابن ماجه تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
3. ابن منظور محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، (الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - 1414 هـ).
4. أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، دار المعرفة - بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة (1417هـ/1997م)
5. أبو الحسن الماوردي: أدب الدنيا والدين(الناشر: دار مكتبة الحياة الطبعة: بدون طبعة، 1986م).
6. أبو العلاء محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي:أ (المتوفى: 1353هـ)الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
7. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2004 م.
8. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، المستصفي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1413 هـ - 1993م.
9. أبو عبد الله، الحكيم الترمذي نوارد الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، المحقق: عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار الجيل - بيروت
10. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، المحلى، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
11. د/ عبد الستار الهيتي، مسؤولية الأفراد والأجهزة الحكومية في تحقيق الأمن الاجتماعي: ورقة عمل مقدمة لمؤتمر " الأمن الاجتماعي تحديات وتطلعات " المنعقد في البحرين لعام 2007م
12. د/ محمد حسن أبو يحيى، أهداف التشريع الإسلامي، دار الفرقان ط أولى، (1405هـ 1975م)
13. د/محمد عمارة الإسلام والأمن الاجتماعي/، مكتبة وهبة، القاهرة، 1987م.
14. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروس، (الناشر، دار الهداية، القاهرة 1973م)،
15. زين الدين محمد المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة: الأولى، 1356هـ.

16. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز الذهبية، سير أعلام النبلاء، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، 1405 هـ / 1985 م.
17. الطاهر أحمد، ترتيب القاموس المحيط، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثالثة 1980.
18. العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام دار ابن حزم، ط 1 (1424هـ/2003م)، بيروت - لبنان.
19. علي بن عبد الله السمهودي، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، دراسة وتحقيق: د/ محمد الأمين محمد محمود أحمد الحكيني.
20. فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ
21. القرطبي، أبو عبد الله محمد، تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة، دار الكتب المصرية، الطبعة: 2، 1384 هـ - 1964 م).
22. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: 1984 هـ
23. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، 1976 م.
24. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م
25. محمد بن عيسى الترمذي الجامع الكبير - سنن الترمذي، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، 1998 م.
26. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

المصادر الوضعية:

27. د/ أحمد الواصل، مسيرة الغناء السعودي: تجارب ومراحل في استراتيجية الذاكرة المستمرة، مجلة الفيصل، العدد 477-478، 2016.
28. د/ إلهام مصطفى القصيري، جودة الحياة لدى المعاقين بصريا مقارنة بغير المعاقين، مجلة القراءة والمعرفة، العدد رقم (49)، 2014.
29. د/ إيمان القحطاني، اتجاهات أفراد المجتمع السعودي نحو أهمية الترفيه وعلاقته بالتماسك الاجتماعي - دراسة مطبقة على عينة من المواطنين السعوديين في مدينة جدة -، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 5، العدد 7:30 يونيو 2021.

30. د/ إيمان الكناني، اتجاهات الشباب والفتيات نحو الترفيه في المجتمع السعودي في ضوء رؤية 2030، مجلة جامعة الفيوم للعلوم التربوية والنفسية، المجلد الرابع عشر، الجزء الثاني، يوليو 2020.
31. د/ إيمان شعبان أحمد، أساليب المعاملة الوالدية وأثرها على جودة الحياة للأبناء، مجلة علوم وفنون 2015م.
32. د/ خالد الفنيم، الأبعاد الاقتصادية لسياحة الترفيه في المملكة العربية السعودية، مجلة أسيوط لعلوم وفنون التربية الرياضية، مجلد 48، عدد 2، 2019م.
33. د/ محمد السعيد أبو حلاوة، جودة الحياة: المفهوم والأبعاد، كلية التربية بدمنهور، جامعة الإسكندرية، ضمن فعاليات المؤتمر العلمي السنوي لكلية التربية، جامعة كفر الشيخ، 2010.
34. د/ محمد بن علي معشي جودة الحياة وعلاقتها بل من السلوك الاجتماعي والأمن النفسي لدى عينة من المراهقين، مجلة كلية التربية، جامعة أسيوط، المجلد الرابع والثلاثون، العدد الثاني، فبراير، 2018م.

مصادر تتعلق برؤية المملكة (2030).

35. البوابة الوطنية للمملكة العربية السعودية للخدمات والمعلومات الحكومية GOV.SA،
<https://www.my.gov.sa/wps/portal/snp/aboutksa/investinginksa>
36. الموقع الرسمي لرؤية 2030 للمملكة العربية السعودية، اقتصاد مزدهر، (بدون)، تم الاطلاع بتاريخ: (2023/12/30)، <https://cutt.ly/RTyDwm9>.
37. انجازات رؤية 2030 للمملكة، (2016-2020).
38. برنامج جودة الحياة، 2020، المملكة العربية السعودية، كتيب خطة التنفيذ
39. رؤية المملكة (2030) موسوعة ويكيبيديا، تاريخ الاطلاع عليها (10-10-2023م)
40. ما هي القدية، الموقع الرسمي لمشروع القدية، (بدون)، تم الاطلاع بتاريخ (2024/1/5) <https://cutt.us/GEEQe>
41. مسح: الصندوق السيادي السعودي بـ 2017 استثمارات بالمليارات أبرزها "نيوم"، شركة مباشر العالمية، (٢٠١٧/١٢/٢٨)، تم الاطلاع بتاريخ 2023/12/30 <https://cutt.ly/ATshQWP>
42. مقال (10 حقائق لا تعرفها عن نيوم.. أضخم مشروع بين 3 دول، العربية نت بتاريخ (24 أكتوبر 2023م).